

محمد بن إسحاق صاحب سيرة الرسول

كانت ولادة محمد بن اسحاق بن يسار بن خيار المطلبي سنة ٨٥ هجرية في المدينة وبها نشأ وترعرع وسمع الحديث والمغازي. ابن اسحاق من طبقة الموالي ، جده يسار ولربما والده خيار وقعا في أسر خالد بن الوليد عند فتحه لمدينة عين التمر سنة ١٢ للهجرة ، وهي مدينة بجوار الأنبار . نشأ ابن اسحاق في المدينة مكّته من سماع كبار الشيوخ في المغازي والحديث والتفسير أمثال عروة بن الزبير وعبد الله بن أبي بكر بن حزم وعاصم بن عمر بن قتادة ومحمد بن شهاب الزهري ، كما سمع من كل من روى حديثا ، كذلك سمع من أولاد اليهود الذين أسلموا روايات تتعلق بالحوادث التي وقعت بين النبي ويهود المدينة ، وسمع في المدينة من النساء أمثال فاطمة بنت المنذر بن الزبير ومن زوجها هشام بن عروة ، وفي مصر عندما زارها سمع من يزيد بن أبي حبيب المتوفى سنة ١٢٨ هجرية وفي الكوفة من محمد بن السائب الكلبي المتوفى سنة ١٤٦ هجرية وغيرهم كثيرين مما يدل على ثقافة ابن اسحاق ومعلوماته الواسعة في كل ما يتعلق بالمغازي .

وقد أثار ابن اسحق نتيجة لأخذه معلوماته من مصادر شتى ومختلفة ومتفاوتة ، وفي كثير منها غير مُسندة ولا ثقة في

أصحابها، انتقاداً شديداً واختلفت الآراء حوله . فالإمام مالك بن أنس وصفه بقوله : " محمد بن اسحاق دجال من الدجاجلة ، نحن أخرجناه من المدينة " (٢٠) ، واتَّهمه في موضع آخر بأنه " كذاب " (٢١) . كذلك هشام بن عروة بن الزبير خصم ابن اسحاق وشكك في علمه وما أتى به من معلومات .

كتاب سيرة الرسول لإبن اسحاق

ذكرت العديد من المؤلفات التي تناولت حياة الرسول ﷺ، ولكن مؤلف محمد بن اسحق " المتوفى حوالي سنة ١٥٢ هجرية يُعد من أوثق ما كتب في السيرة النبوية، ويعتبر ختام تطور الرواية المدنية وفاتحة تصور جديد للسيرة، وذلك كما يرى المستشرق ليفي دلا فيدا أن أسلاف ابن اسحق قد نظروا فيما يظهر إلى تاريخ النبي نظرتهم إلى ظاهرة قائمة بذاتها، أما ابن اسحق فقد كان أول من وضع الإسلام ومنشئه في نسق التاريخ العام، فهو يرى أن ظهور الإسلام استمرار وتتمة للتاريخ المقدس اليهودي والمسيحي من حيث كونه ينبعث من الخلق الالهي ومن دعوة الأنبياء السابقين لمحمد .

وقد وزع ابن اسحق كتابه على أربعة أجزاء وكل جزء شمل عدة أبواب ، والأجزاء هي :
١- كتاب المبتدأ أو المبدأ .

٢- كتاب المبعث .

٣- كتاب المغازي .

٤- كتاب الخلفاء .

وهذا التوسّع في الأبواب المختلفة جعل البعض يتساءل إذا كانت هذه أبواباً لكتاب واحد أو أسماء عدة كتب نشرها المؤلف ، وهذا التوسّع أيضاً جعل ابن اسحق يقبل عدداً من الروايات واستخدام الشعر كمصدر مهم يُعتمد عليه . ويرى ليفي دلا فيدا أن ابن اسحق يتّصف بصفة المؤرخ الحقّ وفيه تتمثّل الصورة الأخيرة للمزج بين كتابة التراجم على النحو الملحمي الأسطوري المأثور عن القصص (٢٢).